

فصل المقال في شرح كتاب الأمثال

النعمان ذا شرف وحكمة وكان يوصيهم ويحملهم على أدبه فقال لسعد وكان صاحب حرب إن الصارم ينبو والجواد يکبو والأثر يعفو والحليم يهفو فإذا شهدت حرباً فرأيت نارها تسعر وبحرها يزخر وبطلها يخطر وضعيفها ينصر فأياك أن تكون صيد رماحها ونطيح نطاحها واعلم عند ذلك أنهم ينصرون ثم قال لسعدة وكان جواداً يا بني إنه قد يبخل الجواد ويصلد الزناد وتجمد الثماد وتمحل البلاد فلا تدع أن تجرب اخوانك وتبلو أصدانك . ثم قال لساعده يا بني إن كثرة الشرب تفسد القلب وتقل الكسب وتحدث اللعب فانظر نديمك واحم حريمك وأعـنْ غريمك وأعلم أن الظمأ القامح خير من الري الفاصح وعليك بالقصد فإن فيه بلاغاً .

ثم إن النعمان توفي فقال سعيد لآخذنَّ بأدب أبي وأبلو 2 أوثق إخواني في نفسي فعمد إلى كبش فذبحه ثم أضجعه في قبته وغشاه ثوباً ثم دعا رجلاً كان من أوثق إخوانه في نفسه فقال يا أبا فلان : إنما أخوك من صدقك بعهدده وحاطك برفده وقام معك بجهدده وسوَّاك بولده قال صدقت قال إني قتلت فلاناً فما عندك فقال يا للسوءاء السوءاء لنا ووقعت فيها وانغمست فتريد ماذا قال أحب أن تعينني عليه حتى أغيبه وأجذَّه قال لستُ لك في ذلك بصاحب ثم تركه وانطلق فدعا سعيد رجلاً آخر من إخوانه يقال له حريم بن نوفل الهمداني فقال يا حريم ما عندك قال ما يسرك قال فإني قتلت فلاناً قال فتريد ماذا قال تعينني عليه حتى أغيبَّه قال : لهانَ ما فرغتَ فيه إلى أخيك ثم قال وعبد لسعيد عنده هل أطلع على هذا غير عبدك هذا قال : لا . فأهوى حريم إلى العبد بالسيف فقتله وقال " لَيْسَ عَبْدٌ بِأَخٍ لَكَ " ففزع لذلك سعيد وقال ما صنعت إنما أردت تجربتك قال حريم : " سَدِّقَ السَّيِّفُ الْعَدَلَ " .

قال أبو عبيد : ومن أمثالهم في ذكر الشيء بغيره قولهم : " ذَكَرْتُني الطَّعْنَ وَكَذَّبْتُ " .